مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

رواية كم بدت السماء قريبة لبتول الخضيري دراسة في ضوء النموذج العاملي

ا.م.د.عهود ثعبان يوسف نجد الاسدي
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية

التخصص العام للبحث:اللغة العربية -الادب	التخصص الدقيق للبحث:النقد الحديث

معلومات الورقة البحثية

تاريخ الاستلام 2025/6/23
تاريخ القبول 2025/2/1
تاريخ النشر 2025/7/25

الكلمات الرئيسية:

النموذج العاملي .عوامل النموذج العاملي.مكيفات الفعل .المربع السيميائي

المستخلص باللغة العربية:

أفادت كثير من مناهج النقد الحديث من طروحات دي سوسير في اللسانيات؛ وعلى إثر هذه الطروحات تطورت الدراسات النقدية على وجه العموم والمناهج السردية على وجه الخصوص، ومن هذه الطروحات، ما قدّمه ليفي شتراوس وبروب في دراسته للشخصية السردية، وكيف تطور مفهوم الشخصية تطورًا ملحوظًا، فالشخصية غادرت مفهومها القديم الذي يركّز على الشخصية البشرية، لتتطور للبحث عن فكرة العامل كالعامل في النحو؛ ليؤسس نحو سردي كما يسميه غريماس – الذي تأثر بدراسات ليفي شتراوس وبروب – فالمهم في الشخصية أيَّ كان نوعُها بشرية أم غير بشرية عاقلة أم غير عاقلة حسيَّة أم معنوية وظيفتها التي تقوم بها، ليقدَّم غريماس نموذجه الذي أسماه (النموذج العاملي) كنموذج يصلح تطبيقه على النصوص السردية دون غيرها، كنموذج وظيفي منه من يرتكّز على التتبع للمسار السردي، ومنه من لا يرتكز على ذلك كما سوف نبيّنه عن طريق البحث.

doi: xx.xxxx

1. المقدمة

أفادت مناهج النقد الحديث كثيرا من طروحات دي سوسير في اللسانيات؛ وعلى إثر هذه الطروحات تطورت الدراسات النقدية على وجه العموم والمناهج السردية على وجه الخصوص، ومن هذه الطروحات، ما قدّمه ليفي شتراوس وبروب في دراسته الشخصية السردية، وكيف تطور مفهوم الشخصية تطورًا ملحوظًا، فالشخصية غادرت مفهومها القديم الذي يركّز على الشخصية البشرية، لتتطور للبحث عن فكرة العامل كالعامل في النحو؛ ليؤسس نحو سردي كما يسميه غريماس – الذي تأثر بدراسات ليفي شتراوس وبروب – فالمهم في الشخصية أيَّ كان نوعُها بشرية أم غير بشرية عاقلة أم غير عاقلة حسيَّة أم معنوية وظيفتها التي تقوم بها، ليقدَّم غريماس نموذجه الذي أسماه (النموذج العاملي) كنموذج يصلح تطبيقه على النصوص السردية دون غيرها، كنموذج وظيفي منه من يرتكّز على التتبع للمسار السردي، ومنه من لا يرتكز على ذلك كما سوف نبيّنه عن طريق البحث.

وقد قامت الدراسة على ثلاثة مباحث يسبقهم مهاد نظري اختص بالسيميائيات السردية ، والنموذج العاملي الذي يعد من السميائيات السردية . جاء المبحث الأول بعنوان : عوامل النموذج العاملي، واختص المبحث الثاني بمكيفات الفعل؛ ليشكلان المستوى السطحي .اعقبهما المبحث الثالث الذي جاء بعنوان : المربع السيميائي، والذي مثّل المستوى العميق ، ثمّ ختم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

مهاد نظري: السيميائيات السردية

تعدّ قراءة النص السردي وفقا للنموذج العاملي استحضارا لعناصر غائبة في النص المدروس ومحاولة لكتابة تاريخه ، انطلاقا من كون القراءة فعالية أدبية واعية لامجرد انعكاس لمظهر ثقافي. (ينظر:عبد الله الغذامي، 1985: 84).

وقراءة النص السردي تعني دراسته ، فالدراسة غير القراءة لما تتطلبه الأولى من وعي لأدواتها. (ينظر:جيرمي هورثون، 1996: 101).

وقبل الولوج في تفاصيل النموذج العاملي نقف على المجال النقدي الذي ينتمي إليه هذا النموذج، وهو مجال السيميائيات السردية، الذي يعد غريماس المؤسس الفعلي لها. (ينظر: سعيد بنـگراد، 2001: 44)، والحديث عنها بوصفِها علمًا عامًا للدلالة، فالدلالة جزء منها لا العكس .

السيمايئيات السردية:

نشأت السيميائية على تقاطُع تيارين فكريين: تيار لساني مثّله فردينان دو سوسور، الذي أطلق عليها اسم "السيولوجيا"، مُشيرًا إلى أن التواصل الإنساني يقوم على إرساليات متعدّدة (سمعية، بصرية، شمية، حركية... إلخ)، (ينظر:برنار توسان، 1994: 9). أما التيار الثاني ففلسفي، مثّله تشارلز ساندرز بيرس، الذي منح السيميائية استقلالها كعلم قائم بذاته (ينظر:أكرم اليوسف، 1994: 13)

وتُصنّف العلامات الى كلامية وكتابية ، (ينظر: برنار توسان، 1994: 11)، وهذه العلامة هي "مثير – أي أنَّها مادة محسوسة- ترتبط صورتها المعنوية في إدراكنا بصورة مثير آخر تنحصر مهمته في الإيماء تهيئًا للإتصال."(بيار غيرو، 1984: 31) (ينظر:برنار توسان، 1994: 13).

واللغة في السياق تُعد المحور الأساس للنظام السيميائي ؛ لما لها قدرة على تمثيل هذا النظام ، على الرغم من أنّها تشكل جزءا صغيرا منه. (ينظر:ترنس هوكز، 1986: 22).

وتعني أنَّ الكائنات البشرية تتواصل بوسائل غير لفظية، على الرغم من بقاء اللغة هي المسيطرة. (ينظر: م.ن: 114).

فالكائن البشري هو مركز العلامة ، ومن الممكن أن يُمثل هو نفسه علامة في السياق الاجتماعي بحسب علاقته بالعالم.(ينظر: بيار غيرو، 1984: 112).

كما أنّ العلامات ترتبط بمضامين أيديولوجية ضمن العلاقة التي تجمعها ؛ إذ تضفي كل دلالة أيديولوجية قيمة على العلامة ؛ فيتحقق التفاعل بين الدال والمدلول في إطار ثقافي –اجتماعي. (ينظر: يمنى العيد،في معرفة النص، 1985: 69).

بعد بياننا لمفهوم السيميائية بقي أن نعرف السردية، وهي الجزء الثاني من السيميائيات السردية، وتمثل الأخيرة فرعًا من (الشعرية) "العلم الذي يهدف إلى وضع قواعد شاملة للتشكلات الداخلية للأدب بأجناسه وأنواعه ... ولما كانت السردية تعنى بمكونات الخطاب السردي، وصولًا إلى كشف الأنظمة الداخلية ترتب أن اتجهت عنايتها إلى الخواص الأدبية لذلك الخطاب سواء كان ذلك في مستوى الأقوال أو الأفعال". (عبد الله إبراهيم، 1990: 104).

ويمثِّل السرد بحد ذاته "الأداة الأولى في الأدب القصصي التي تميَّزه عن غيره من الأنواع الأدبية ،مثل: الأدب المسرحي والشعر الغنائي" .(شجاع مسلم العاني، 2000: 8).

ومن هذا المنطلق ؛ يتخذ النموذج العاملي من السيميائيات السردية خلفية منهجية لتحليل النصوص القصصية تحديدا دون غيرها.

النموذج العاملي:

قدمنا مسبقًا أنَّ النموذج العاملي ينتمي إلى السيميائيات السردية؛ ومن ثَمَّ فهو منهج نقدي يدرس العلامات وعلاقتها في صيرورة قائمة على تحولات متتالية تقوم على الثبات والتحوَّل، بفعل تغيّر مضمون الفعل السردي والقائمون بالفعل مع بقاء الملفوظ (العرض) ثابتًا. (ينظر:محمد الناصر العجيمي، 1993: 38).

ويسمي غريماس كلُّ ما له صلة بالفعل – الذي يمثِّل الموضوع – عاملًا، وهو يحل محل الشخصية في الدراسات النقدية التي سبقته بمفهوم جديد؛ لأنَّه لا يغطي الكائنات البشرية فقط، بل يستمر ليشمل كلّ من يقوم بوظيفة دلالية من حيوانات أو أشياء أو مفاهيم، وغير ذلك. (ينظر:رشيد مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص 2000: 16).

وهذه الشخصية ما هي إلَّا عنصر مصنوع مخترع لكل عناصر الحكاية، فهي تتكون صورتها من مجموع الصور التي يتم تجميعها من الأقوال والأفعال والأفكار، وغير ذلك. (ينظر:لطيف زيتوني، 2002: 115).

ويعدّ انتقال مفهوم الشخصية الى العامل عند غريماس نقلة نوعية ؛لأنّه بركز على الوظيفة الدلالية التي تُسهم في تحريك القصة. (ينظر:فلاديمير بروب، 1996: 15).

لقد تأثر غريماس تأثرًا كبيرًا بطروحات بروب، فقد جعل بروب نحوا للرواية كالنحو في اللسانيات، أي بمعنى جعل عددا محدودا من المبادئ التي تتولَّد عنها الفن القصصي ككل. (ينظر:السيد إبراهيم، 1998: 24).

ليس نموذج بروب فقط الذي تأثر به غريماس في تأسيس نموذجه العاملي، بل تأثر أيضاً بنموذج سوريو، ونموذج تنيير. (ينظر:سعيد بنـگراد، 2001: 71).

ونموذج بروب يقوم على إحدى وثلاثين وظيفة يحكمها تتابع منطقي خاص، والنص القصصي يختلف بعدد الوظائف من نصٍ لآخر. (ينظر: م.ن: 74).

أما نموذج سوريو فقد انطلق من النصوص المسرحية ؛ ليحدد نموذجًا يقوم على التطورات والتحولات التي تتضمَّن أيّ نص مسرحي، وحدّد نموذجه بست خانات في المواقع التركيبية للنصِّ المسرحي.

ونموذج تيير الذي يتلخص بملفوظ عنده فرجة دائمة أي هناك فاعل وفعل ومفعول به. (ينظر: م.ن: 74).

يخلق غريماس نموذجه القائم على المستوى السطحي والمستوى العميق.

ويشمل المستوى السطحي البنيات العاملية، وتقوم على ستة عوامل سردية تتجلى في كلِّ نص سردي على اختلافه، وهي الموضحة في المخطط الآتي: (ينظر: محمد الناصر العجيمي ،1993: 38)

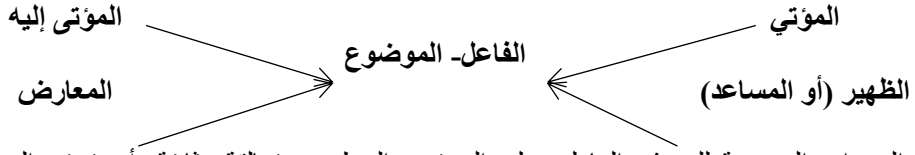

هذه الوحدات المؤسسة للنموذج العاملي على المستوى السطحي متعالقة وثابتة، أي تستند إلى العلاقة بين العوامل في حركيتها المتطورة والمتحولة على طول المسار السردي. (ينظر: م.ن: 47).

تشترك (مكيفات الفعل) كما يسميها غريماس مع عوامل النموذج العاملي في المستوى السطحي للنموذج، وتحدد هذه المكيفات للذات القائمة بالفعل. (ينظر: م.ن: 60).

وترتبط هذه المكيفات ارتباطًا وثيقًا بعوامل النموذج العاملي؛ فهي تحدد كفاءة الفاعل القائم بالفعل وسعيه لتحقيق الفعل، والمتمثلة بإرادته أم بقدرته أم بمعرفته أم بهذه المقومات جميعًا أم ببعض منها، والتحوَّل إن وجد بها. (ينظر: م.ن: 58)، وهذه البُنيات السطحية تشكَّل باجتماعها معًا نحواً سيميائيًا.

والمستوى الآخر لنموذج غريماس وهو المستوى العميق، وهو يمثل السلوك الإنساني بكل عناصره وفقًا لعلاقاتها فيما بينها، ويسميه بالمربع السيميائي أو النموذج التأسيسي، (ينظر: م.ن: 48)، وهذا المستوى يشكَّل نموذجًا بغض النظر عن المظهر الخارجي الذي يتشكَّل فيه السرد. (ينظر: م.ن: 36).

وايضًا يسمى "بالمربع السيميوطيقي، أو مربع جريماس ويمثله على الصورة الآتية، وفيها ع تعني علامة": (السيد إبراهيم، 1998: 28).

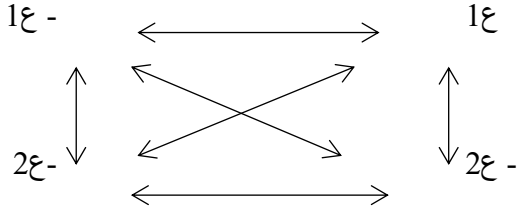

وسوف تأتي تفصيلاته في المبحث الثالث من هذا البحث.

المبحث الأول
عوامل النموذج العاملي

الجانب النظري:

تأثرت كلَّ المناهج الحديثة بطروحات دي سوسير في اللسانيات؛ وعلى إثر ذلك تطورت المفاهيم السردية بمصطلحات جديدة، ومنها الشخصية السردية التي كانت تدرس وفقا للشخصيات البشرية فقط دون غيرها؛ لتتطور على يد بروب وشتراوس وتأثرت بالنحو اللساني الذي يهتم بالدراسة البنيوية للنص السردية لتحل محل الشخصية فكرة العامل، لتشمل كل الكائنات العاقلة وغير العاقلة أو فكرة مجردة؛ بفعل الوظيفة التي بها لا بفعل الهيأة. (ينظر:رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص 2000: 16).

وعليه فإنَّ الخطاب السردي يقدَّم في سطحه عددًا من الكائنات الحية أو غير الحَية، وتسمى كلتاهما (معانميه) إلَّا أنَّ الأولى تختلف عن الثانية، فتصنَّف بالعوامل، وهي وحدات مميزة. أما الثانية تكون موصولة بالأولى، وتسمى (مسندات)، وتكون اما متحركة ترتبط بالوظيفة أو ثابتة ترتبط بالأوصاف. (ينظر:محمد عبد الناصر العجيمي، 1993: 37).

والعامل "هو الذي يقوم بالفعل أو يتلقاه بمعزل عن كلِّ تحديد آخر، وهو يرتبط بالتركيب". (رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص،2000: 15).

استمد غريماس هذا المصطلح من تنيير، الذي استبدل بمصطلح الشخصية ؛ ليستثمر في السيميائيات السردية (ينظر:حليمة وازيري، 2017: 15).

ينتمي العامل إلى السلطة المنطقية للسرد، سواء أكان هذا العامل مفردًا أو ثنائيًا أو جماعيًا للقيام بأدوار عاملية محددة وفقًا لنموذج ثابت. (ينظر:رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص 2000: 16).

حدد غريماس هذه العوامل بثلاثة أزواج هي:

المؤتي/ المؤتى إليه، والفاعل/ الموضوع، والمساعد/ المعارض، وتنتظم بين هذه العناصر جميعًا علاقات، (ينظر: محمد عبد الناصر العجيمي، 1993: 40) فالعوامل دون العلاقات فيما بينها لا قيمة لها التي تجتمع في بُنية معينة؛ لتحقيق موضوع ما، كما لا قيمة للموضوعات دون فواعل تستند إليها. (ينظر: م.ن: 55-56).

ويمن توضيح النظام العاملي بأكمله بالرسم البياني الآتي: (ينظر: م.ن: 38)

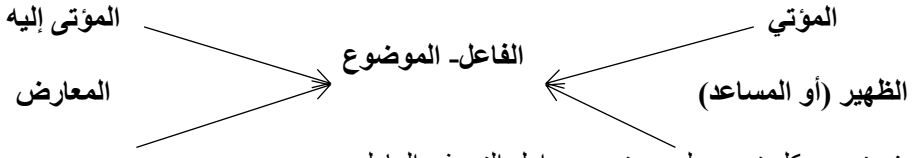

وسوف ندرس كل زوج على حدة من عوامل النموذج العاملي :

الفاعل والموضوع أو الطِّلبة:

تمثل ثنائية الفاعل أو الذات والموضوع أو الطلبة الأساس في النموذج العاملي، والمظهر للعوامل الأخرى. (ينظر:سعيد نـگراد، 2001: 78).

الرغبة هي المحرّك وتمثل العلاقة بين الذات وموضوعها، فالعلاقة بينها استتباعية، فوجود أحدهما يتطلب وجود الآخر. (ينظر: محمد عبد الناصر العجيمي، 1993: 41).

فبالرغبة تتحقق عملية التحوَّل عبر المسار السردي، وتكون العلاقة ذا دلالة.

هذه الدلالة هي الوظيفة التي ترتبط بكل عامل بفعل ارتباطه بعامل آخر بعلاقة تحدد وفقا للموضوع الذي تسعى إليه الذات في البُنية الواحدة. (ينظر: يمنى العيد ، تقنيات السرد الروائي، 1999: 25).

"لا تخلو العلاقة بين الفاعل والموضوع من أحد الاحتمالين: فإما أن تقوم على الاتصال، ويرمز لهذه العلاقة بالعلامة التالية: ∩ ، وإما على الانفصال، ويرمز إليها على النحو التالي ∪:

صلة تعالقية

اتصال: فاعل (ف) ∩ موضوع (م) — انفصال: ف ∪ م"

(محمد عبد الناصر العجيمي، 1993: 41).

بتصور غريماس الذي يرى أنّ الفاعل والعامل تجمعهما علاقة مزدوجة، فمن الممكن أن يتمثّل الفاعل الواحد في الخطاب السردي لمجموعة من العوامل، ومن الممكن ايضًا أن يتمظهر العامل داخل الخطاب السردي بفواعل عدة. (ينظر: أ.ج. غريماس، 2018: 20).

لا تعني علاقة الانفصال الانقطاع التام بين الفاعل والموضوع، حيث يسعى الفاعل لعلاقة الاتصال بالموضوع؛ ليتأهل أن يكون فاعلًا راغبًا بالقوة. (ينظر: محمد عبد الناصر العجيمي، 1993: 42).

العامل والمساعد والمعارض:

يتمظهر هذان العاملان في سياق العلاقة بين الفاعل والموضوع. (ينظر: م.ن: 46).

والعامل المساعد هو الذي يقدم المساعدة للفاعل في سعيه لتحقيق موضوعه في برنامجه السردي؛ وهذا العامل يتحدد وفقا لوظيفته. (ينظر:رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص 2000: 18).

فالفاعل في أثناء سعيه لتحقيق موضوعه يصادف كائنات أو حيوانات أو غير ذلك تشكّل عوام مساعدة ومساندة في تحقيق هدفه، لتتجلى في الوقت ذاته عوامل تشكّل عوائق تسعى لإبعاد الفاعل عن موضوعه، وفصله عنه، وليس بالضرورة أن يكون هذا العائق صورة خارجية موجودة بصورة صريحة أو ضمنية في العلاقات الاجتماعية التي يرتبط بها الفاعل، فمن الممكن أن تكون صورة داخلية ذهنية ترافق الفاعل، وتعيقه عن تحقيق هدفه؛ فيكون المعيق من ذاته. (ينظر: سعيد بنـگراد، 2001: 85).

المؤتي والمؤتى إليه:

يرتبط هذان العاملان ارتباطًا وثيقًا بالفاعل والموضوع، فهما يمثلان محور الإبلاغ. (ينظر: م.ن: 81).

"يوحي حضور هاتين الوحدتين العاملتين في الخطاب السردي بوجود عالم مؤسس على منظومة من القيم يحكم بمقتضاها على الأفعال سلبًا وإيجابًا، فتحل في مرتبة المحرم أو المباح أو الواجب". (محمد عبد الناصر العجيمي، 1993: 42).

فالمؤتي يرتبط بفكرة الباعث على الفعل، أيّ الدافع على قيام الفاعل للفعل أي الموضوع.

فوظيفة المؤتي تتلخص عند غريماس في المحافظة على القيم الأصلية وترسيخها واستمرارها عبر الفواعل. (ينظر: م.ن: 42).

أما المؤتى إليه فيمثل المستفيد من استحصال الفاعل لموضوعه، وهو يرتبط بالمستوى الذهني. (ينظر: سعيد بنـگراد، 2001: 81).

الجانب التطبيقي:

تقوم رواية (كم بدت السماء قريبة) على مجموعة من الفواعل، لكننا سنركّز على الفاعل المحوري في الرواية، فالفاعل المحوري فيها هو البطلة/ الذات الفاعلة التي لم يذكر لها اسم محدد في الرواية، وهي تمثل الفاعل في الرواية، ولدقة التحليل سنقسّم الرواية على ثلاثة أقسام تمثل مراحل تحول في البنية، فالبُنية تخضع لسيرورة تحولية، وليست بنية ثابتة مستقلة عن السلوك الإنساني، المتحرِّكة بفعل هذا السلوك. (ينظر: لوسيان غولدمان: 14).

وهذه المراحل هي:

1- مرحلة الطفولة وبداية الوعي (الريف).

2- الانتقال إلى بغداد ومرحلة بداية النضج.

3- الحرب والانتقال إلى انكلترا، وهي مرحلة النضج والتأمل والرحيل.

ترتكز الرواية بأكملها على تصوير الواقع – الأدب الواقعي- في كل مراحله؛ لأنَّ الواقع يمثل ظاهرة اجتماعية، وتحقق الواقعية في الأدب أهداف، تتجلى في المرحلة الأولى من الرواية وبقية المراحل، ففي المرحلة الأولى تسعى الذات الفاعلة إلى التمظهر لبدايات تشكل الهوية، وهو تمظهر يتسم بالتصوير المادي للمحيط الخارجي بكل تفاصيله عبر الحكايات؛ لتحقيق الانتماء الذي يشكل مفصلًا مهمًا من مفاصل تشكيل الهوية يفاد من الواقعية في الأدب، أي المقاربة الأدبية للواقع في تصوير مبدأ الانتماء للواقع الاجتماعي، لتوضيح معنى الانتماء؛ ويتجلى ذلك بالتصوير المادي الذي يعكس ما هو غير مادي؛ ليخلق بذلك طابعًا صراعيًا يتحدد به الواقع الاجتماعي. (ينظر: يمنى العيد ،في معرفة النص1985: 43).

فهذا الواقع يمثل الأصول والانتماء للذات الفاعلة مع البيئة والعلاقات والتقاليد، وغير ذلك؛ مما يزيد من تعلق الذات بموضوعها، وهو تشكل الهوية، وتمثل هذه المرحلة مرحلة البساطة، فالذات الفاعلة في هذه المرحلة التي تمثل مرحلة الطفولة والبراءة لها، التي تتأمل وتترقّب ليتشكل الوعي بالهوية عبرهما، وهي مرحلة ترتبط بالوصف عن طريق الرواية.

فالطفل يبدأ بإدراك ذاته عن طريق تكوين العلاقات مع محيطه الخارجي من ناحية الاختلاف والتشابه مع الأشخاص الذي يحيطون به، ومع الطبيعة. (ينظر: تيري إيغلتن ، 1992: 181).

يمثل الأدب ذو الهوية العراقية عاملًا مساعدًا للذات الفاعلة في تحقيق موضوعها لتعميق الانتماء بالأصل، ويمثل المؤتى إليه في هذه المرحلة، وتتجلى الطفلة (خدوجة) كعامل مساعد للذات الفاعلة؛ لتعميق الصلة بالواقع المعاش للفاعل: "كانت هي عالمي ... لينتهي سحر يوم كهذا مع خدوجة" (بتول الخضيري، 2009: 9-10).

إنَّ الحافز الذي يجعل الذات الفاعلة تسعى لموضوعها هي القيم والمبادئ التي يسعى الأب لغرسها في طفلته، فهو المؤتي للذات الفاعلة، إلَّا أنَّ ذلك السعي يجابه بعوامل معارضة تحاول أن تبعد الفاعل عن موضوعه والسعي للانفصال عن ذلك الموضوع، ومن هذه العوامل الأم ذات الأصل البريطاني على عكس الأب فهو عراقي، وهذا الاختلاف يخلق صراعا بين الثقافتين لدى أبنتهما/ الذات الفاعلة.

إنَّ الفعل والتنظيم السردي للنص يخلق حالة من التطابق بين الشخصية والقول الهادف إلى استرجاع الطفولة وأحداثها مؤكدًا بذلك إلى اكتشاف مواطن الخلل في الذاكرة الطفولية لا يمكن أن يحكى إلَّا من قبل الشخصية نفسها. (ينظر: فريد الزاهي، 2003: 150)؛ "وبهذا تنبني الثنائية السردية على التعارض بين السرد الذاكري (ضمير المتكلم) والسرد الحاضر (ضمير الغائب والمخاطب)، فسرد الطفولة لا يمكن أن يتم إلَّا بإحساسات ولغة ذلك الذي يحكيها ويكون قد عاشه". (م.ن: 150).

تمثَّل هذه المرحلة سيميائيًا وفقاً للإشارات العلامتية في الرواية بدايات نشأة البلدان، ومنها العراق الذي سنرى مراحله عبر الذات الفاعلة والمراحل التي تمر بها. يصارع الأب لتمكين الذات الفاعلة من موضوعها، ويحاول أن يواجه العوامل المعارضة لذلك، منها: الثقافة الدخيلة على الثقافة الأم التي يراها الأب الأصل ومرجع كل فرد: "يا مدام دعيها تختلط بعادات أهل الريف لا ضير في ذلك دعيها تتعلّق بالأرض والبشر والحيوان كما تربينا نحن بالله عليكِ دعيها ترى ما لا ترين" (بتول الخضيري، 2009: 13).

تمثل الأم الطرف الآخر من الصراع التي تستعمل أدواتها التي تعارض هذا الانتماء الذي يسعى إليه الأب والذات الفاعلة باستعمال اللغة التي تعد من الأسس المهمة في تشكيل الهوية وتعميق الانتماء، فالأم تستخدم الكلمات غير العربية/ اللغة الانكليزية؛ لتضعيف أواصر الانتماء، فاللغة الدخيلة على المجتمعات، ومنها العراق من الممكن أن تسهم في تضعيف الهوية لارتباط الهوية باللغة ارتباطًا وثيقا.تتعلّق الذات بالطبيعة التي يجعلها من العوامل التي تساعد الذات من ارتباطها ورغبتها في تحقيق موضوعها: "قضينا العصر بطوله ... من بعيد نسمع أمي تنادي". (بتول الخضيري، 2009: 14-15).

فحكايات الجدة تعد ايضًا عاملًا مساعدًا لتعميق الذات الفاعلة بهويتها وموضوعها، فذكريات الطفولة تمثل مرتكزًا اساسيًا في تشكيل الهوية، وفي مقطع آخر: "يا سلام أولاً اسمها كُبَّه ... أمن الاختلاط بالذين سيعلمونها لغتها بالشكل الصحيح" (بتول الخضيري، 2009: 21).فالمكان يرتبط ارتباطًا وثيقًا في هذا التعميق، فالزعفرانية هي الموطن الأول للذات الفاعلة.

إنَّ معرفة مع من يتعامل الفرد؛ ومن ثمَّ القدرة على معرفة هوية الأفراد والجماعات هي من شروط الحياة الاجتماعية وديمومتها. (ينظر: بيار غيرو، 1984: 113).

تبدأ المرحلة الثانية، وتمثل الانتقال إلى بغداد كمرحلة جديدة من مراحل صراع الذات الفاعلة في مسعى تحقيق موضوعها في فهم ذاتها.

تنتقل الذات الفاعلة/ الراوية من بيئة الريف المنفتح في الطبيعة الذي يدعو للتأمل العميق بالطبيعة والعادات والتقاليد التي تؤكد على أصول تشكيل الهوية إلى بيئة المدينة (بغداد)، تسعى الذات الفاعلة إلى موضوعها الجديد في البيئة الجديدة في فهم ذاتها: "البيت الجديد ... لم يتغيَّر إيقاع حياتنا هنا كثيرًا" (بتول الخضيري، 2009: 61).

المدينة تشكَّل كدافع حقيقي لتحولات الذات، وتقدم الذات الفاعلة في العمر، الذي يحقق للذات تقدمًا في الوعي بعد أن كانت في بيئة الريف/ الطفولةِ، وتشكل المؤتي للذات الفاعلة ، فالزمن عنصر مهم في تشكيل الوعي، وهو الأساس في السرد الروائي ويترتب عليه عنصر التشويق والاستمرار، وهو مختلف من شخصية لأخرى، والزمن لا يوجد مستقلا عن عناصر الرواية الأخرى بل يتخللها كلها.

اما المؤتى إليه في هذه المرحلة؛ فيتمثل في الذات الفاعلة نفسها في صنع مستقبلها لتصبح ذات واعية، وليس مجرد فتاة تتبع أوامر وتوجيهات الغير، فهي تسعى إلى الاستقلالية في فهم ذاتها ومحيطها، ومن الممكن أيضًا أن يكون المجتمع كرسالة سردية تحولية يُفاد منها في المستقبل.

تعلّم الذات الفاعلة للموسيقى في بيئتها الجديدة تمثل عاملًا مساعدًا ومساندًا للذات الفاعلة في موضوعها، وأيضًا تعلمها لمهنة والدها جعلاها تمزج بين تناقضات الحياة، فالموسيقى تترجم المشاعر الداخلية والصراع مع الخارج "هكذا دخلت حياتي حقيقة أخرى الموسيقى" (بتول الخضيري، 2009: 58).فالذات العارفة بفعل وعيها، هي فرد ليس بمعزل عن أفراد الجماعة ولا الجماعة ذاتها، بل تمثل بنية متغيَّرة ينضوي تحتها في آن واحد الفرد والجماعة أو عدد معين من الجماعات. (ينظر: لوسيان غولدمان وآخرون، 1984: 34).

تعلّم الذات الفاعلة لمهنة والدها المتمثلة بأسماء الألوان وترجمتها يعد عاملًا مسانداً لها في تحقيق موضوعها، فهي تعطي أسماء عن طريق الألوان ممزوجة بتناقضات الحياة ؛جاء في ذلك:"من أين تأتي بكل هذا السحر يا أبي تُرى، أكان هذا ما تقصد أمي عندما اغريتها بوصفك للشرق ؟!" (بتول الخضيري، 2009: 74-75).

من العوامل المعارضة للذات الفاعلة في سعيها في تحقيق موضوعها في هذه المرحلة: الخوف من المدينة واختلافها عن البيئة السابقة لها وتحولها إلى فضاء رمزي للضياع؛ ومن ثمَّ فالبطلة تبقى شخصية، وإن كانت إشارة لرؤية معينة حول الشخص أو رمزًا لشيء آخر. (ينظر: محمد سويرتي، 1994: 72).

في المرحلة الثالثة، وهي مرحلة الحرب والانهيار، ثم الانتقال إلى انكلترا، وهي مرحلة النضج والتأمل والرحيل.تمثّل هذه المرحلة مرحلة تشكل الهوية المستقبلية / الموضوع للذات الفاعلة في سن المراهقة الباحثة عن ذاتها في زمن الحرب العراقية/ الإيرانية، فانعكاسات الخارج تؤثر على الداخل داخل الذات في عمر المراهقة، فهي مرحلة نضج: "صوت بَدوي من الراديو يردد يمه بعرسي يعني المدفع طول الليل يمه البارود من اشمه ريحة هيل" (بتول الخضيري، 2009: 91).

فالحرب امتزجت في كلِّ مفاصلِ الحياة الاجتماعية حتى في الأفراح أخذ تأثيرها واضحًا.

تستمر الذات الفاعلة في سعيها لتحقيق موضوعها مع تصاعد الحرب، فالمؤتي هو حاجة داخلية للذات الفاعلة والمتمثلة في حاجة الذات للنضوج في الفهم والانتماء في أثناء الحرب: "إحنا مشينا للحرب ... وإحنا مشينه للحرب" (بتول الخضيري، 2009: 91).

يتَّضح المؤتى إليه في هذه المرحلة والمتمثل في تكوين الذات الفاعلة لهوية متوازية في زمن الحرب، ومن العوامل المساعدة والمساندة للذات الفاعلة في تحقيق موضوعها: العلاقات الاجتماعية مع محيطها الخارجي، والأحلام في زمن الحروب، وتعلمها للبالية والحب، وهي عوامل تحقق توازنًا داخليًا للذات الفاعلة مع الخارج.

و تتجلى العوامل المعارضة بالحرب، وصراع الثقافات، فالحرب جعلت الكل في حالة حيرة وارتباط، فالحروب تفقد الشعوب الشعور بالأمان والاستقرار: "مرت أسابيع بدت طويلة ... قلّت نشاطات السفارات الأجنبية ... زاد قلقنا عندما لمحنا من شباك القاعة قاعدة عسكرية مضادة للطيران" (بتول الخضيري، 2009: 105).

وفي مقطع آخر تتضح الصورة بصورة أكثر تجليا: "يا مدام الذين ليس ذنب أحد ... ومحاولة لتفهم الدرب ... بما تسمينه الحلم" (م.ن: 111).

وصراعات الثقافات بين الأب/ الشرق، والأم، الغرب فلها الدور الكبير في خلق صراع داخلي للذات الفاعلة.

وهي بداية الانهيار/ الرمزي للبيت والعلاقات، فمرض الأب، ثم موته، والحرب الدائرة في الخارج عوامل معارضة للذات الفاعلة، لتشكّل العوامل المساعدة توازنًا داخليًا للذات الفاعلة:

فالذكريات، والأم بعد وفاة الأب، يتكلل ذلك بتغير البيئة المكانية لعدم شعور الذات الفاعلة بالأمان، فالأم تبدأ رحلتها مع مرض السلطان، تبدأ الذات الفاعلة والأم في السفر إلى انكلترا.

في البيئة الجديدة ومرحلة الشباب للذات الفاعلة تحاول أن تخلق توازنًا داخليًا مع الانهيار في الخارج فاستفحال مرض الأم، واستمرار أخبار الحرب على العراق والمتمثل بالعدوان الثلاثين عليه، والغربة في البيئة الجديدة، المختلفة عن بيئة الذات الفاعلة السابقة اختلافًا جذريًا يظهر الحب كعنصر لتحقيق التوازن في مرحلة النضج للذات الفاعلة كل ما مررت به الذات الفاعلة من تحديات تظهرها بصورة جديدة عن طريق تطور الوعي للذات الفاعلة.

المبحث الثاني
مكيفات الفعل

الجانب النظري:

بعد تطرقنا للمظهر الأول من المستوى السطحي للنموذج العاملي في المبحث الأول، بقي أن نتحدث عن المظهر الثاني لهذا المستوى المتمثل بمكيفات الفعل من المنظور العاملي، والمتمثلة بنوعية العلاقات التي تتضمن بين الفاعل وفعله أي موضوعه، ومكيفات الملفوظ الحالي من المنظور نفسه من ناحية أخرى. (ينظر: محمد عبد الناصر العجيمي، 1993: 57).

العلاقة بين الفاعل والموضوع علاقة تلازمية، فلا يوجد أحدهما من دون الآخر، إلَّا أنّ هذه العلاقة تظهر بعلاقة اتصال أو انفصال وفقًا لمكيفات الفعل، فمنها ما تسبق الفعل، ومنها من ترتبط في اثناء قيام الفاعل بالفعل.

تتجلى مكيفات الفعل في الخطاطة السردية التي تشكل عنصرًا منظمًا ومتحكمًا في التحولات الواقعة بشكل تجريدي في مستوى يتسم بالمفهومية. (ينظر: سعيد بنـگراد، 2001: 88).إذًا لا يمكن لأي عامل أن ينصّب نفسه ذات فاعلة ما لم يتصف بمكيفات تؤهله لتحقيق موضوعًا ما.

لكثرة عدد المكيفات التي لا يمكن حصرها، فقد حدّ غريماس منها وارجعها إلى قواعد قليلة وجامعة لتشكل نموذجًا عامليًا. (ينظر: محمد عبد الناصر العجيمي، 1993: 59)، وقد حصرها في ثلاثة مكيفات، وأضاف إليها أتباعه مكيفًا آخر لتصبح أربعة مكيفات، وهي: الشعور بوجوب الفعل، والرغبة في الفعل، والقدرة على الفعل، والمعرفة بالفعل.

يعدّ المكيفان الأوّلان مؤسسين للفاعل بالقوة؛ لأنّهما يسبقان الفعل، أما المكيفان الآخران فيحددان قدرة الفاعل على إنجاز الفعل. (ينظر: م.ن: 59).القدرة للفاعل لا تتمثل في القدرة اللغوية في الدرس اللساني فقط، بل تشكّل جزءًا من السلوك البشري التي من الممكن أن تتجلى في أي مجال آخر. (ينظر: عبد المجيد نوسي، 2002: 241).ليس بالضرورة أن تتجلى كل المكيفات الفعلية للعامل بصورة الثبات، فمن الممكن أن يرغب الفاعل بتحقيق موضوعًا ما ولديه الشعور والتخطيط لإنجاز ذلك الموضوع إلَّا أنَّه غير قادر على الإنجاز بفعل معوقات يفرضها الخارج؛ ومن ثمَّ فإنَّ كل مكيف ممكن أن يتجلى بمكيفات فرعية ممكن أن يوضحها الرسم الآتي المخصص لمكيف الرغبة:

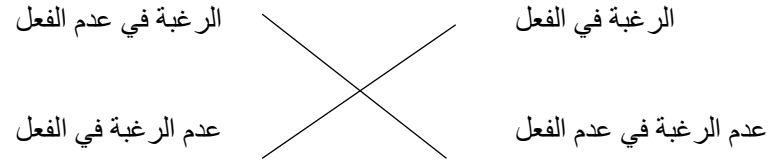

ويمكن أن ينطبق ما تقدّم على غيره من المكيفات الأخرى. (ينظر: محمد عبد الناصر العجيمي، 1993: 59).

ممكن أن يصاحب مكيفات الفعل تطورًا للذات الفاعلة في التحولات في الخطاطة السردية بفعل عوامل خارجية أو داخلية، فكلما كان الفاعل راغبًا ومخططًا لموضوعه؛ فسوف يبقى على اتصال بهذا الموضوع، ويتجلى هذا الاتصال بمحور الصراع – صراع الذات من أجل موضوعها- الاتصال لا يعني إيجابية الموضوع بالنسبة للفاعل، فمن الممكن أن يكون الموضوع سلبًا ويسعى الفاعل لتحقيق الاتصال في ذلك الموضوع.

إنَّ العلاقة بين الفاعل وفعله قد تتغيَّر من ملفوظ سردي إلى ملفوظ آخر ... كذلك يمكن أن تتغيّر وضع الفاعل بالنسبة إلى موضوعه لا من حيث العلاقة الحالية المبنية ... فبوسعنا أن نصف علاقة الاتصال بين فاعل وموضوع بأنَّها صادقة أو كاذبة أو باطلة دون أن تتغيّر نوعية العلاقة الحالية" (ينظر: م.ن: 72).

إذًا مكيفات الفعل تقترب إلى المؤهلات التي يتصف بها الفاعل أو الذات الفاعلة في الخطاب السردي.

الجانب التطبيقي:

تتضح العلاقة بين الفاعل والموضوع في هذا المبحث الذي ينتمي إلى المستوى السطحي، وهو مكمل للمبحث الأول يستلزم التحليل تقسيم الرواية على مراحل؛ لنقف على مكيفات الفعل.

وأول هذه المراحل مرحلة الطفولة لبطلة الرواية، وهي تمثل الذات الفاعلة التي تسعى لتحقيق موضوعها بالقوة مرة وبالفعل مرة أخرى، وهي مرحلة بداية تشكل الهوية.

فالرغبة في تحقيق الموضوع لدى الذات الفاعلة محدودة؛ وذلك لأنّها طفلة إلّا أنَّها تحقق علاقة اتصال مع الموضوع بفعل وجود الأب الذي يسعى لتحقيق الاتصال للفاعلة مع موضوعها: "كم تشاجر معها كلما أكدت قرارها .. وأعلى راسي لا يكاد يصل إلى مستوى حزام خصرك". (بتول الخضيري، 2009: 7).

الأم تسعى بصورة مضادة لمسعى الأب، وترغب بعلاقة الانفصال – انفصال الفاعلة عن موضوعها- أما الشعور بوجوب الفعل، فيتجلى بصورة محدودة أيضًا بسبب عمر الذات الفاعلة، فهي طفلة، ومن ثمَّ فإنَّ الاتصال يتحقق بالقوة خارج البيت الذي يعدّ بيئة فيها معوقات للاتصال بسبب سياسة الأم الصارمة: "مامي ... أين كنتِ ... في المزرعة ... تقصدين مع الفتاة القذرة ألم أحذركِ من الاختلاط بحاملة البراغيث تلك" (بتول الخضيري، 2009: 11).

إنَّ تقديم أي شخصية في النص يتم عن طريق مجموعة من الإشارات المتناثرة التي بمجموعها تكوّن سمة الشخصية (ينظر: فليب هامون، 2013: 58).

يتمظهر المكيفان الآخران، وهما القدرة والمعرفة بوجوب الفعل محدودين؛ لتتسم العلاقة بالصدق المشوب بالتردد أحيانًا؛ بسبب القيود الاجتماعية والجسدية.

تتجلى مكيفات الفعل للذات الفاعلة في مرحلة جديدة هي مرحلة فهم الذات الفاعلة لذاتها ومحيطها بوعي، وهي المرحلة الأولى للنضوج، وفيها تتطلع الذات الفاعلة/ الراوية لفهم الكثير من الأمور التي حولها برغبة منها وبالشعور بوجوب المعرفة بذلك، وهي دليل على بدايات النضج والوعي إلَّا أنَّ الرغبة والشعور بوجوب الفعل يجعلاها عاجزة عن تغيير ما يفرض عليها ؛من ذلك: مرض والدها، وعجزها عن تقديم أي مساعدة لشفائه، وهو يمثل السند والداعم لها في مواجهتها للثقافات والعوامل المعارضة لتشكيل هويتها المرتبطة بفهم الذات لنفسها، فالقدرة تضعف للذات الواعية في مواجهتها لهذه التحديات في الحياة، فهي لا تستطيع دفع الموت عن صديقتها خدوجة التي تمثل جزءًا من أصول هويتها الشرقية، إلَّا أنَّ ذلك يضيف للذات الفاعلة معرفة عن وعي للخارج الذي يشكل مفصلًا مهمًا من مفاصل بناء الذات: "الموت وخدوجة اخفقت في الربط بينهما". (بتول الخضيري، 2009: 59).

يأتي مرض الأب؛ ليجعله يتجه لتعليم ابنته/ الذات الفاعلة لبعض جوانب مهنته بُغية ترك الأثر في ابنته، وهو نوع من الخوف من المرض: "دعوتكِ اليوم لأسألكِ ان كنتِ ترغبين في مشاركتي مهنتي ... صداقة كانت أكبر مني ... أن أكبر معها". (بتول الخضيري، 2009: 66-67).

يتيح مرض الأب الذي يمثل ضعف العوامل الساندة لتشكيل الهوية الشرقية لدى الذات الفاعلة، وظهور قوة سلطة الأم التي كانت ضعيفة قبل مرض زوجها؛ لغرض سيطرتها على البيت وابنتها؛ من ذلك تعلم الأم للسياقة التي كان الزوج معارضًا لذلك، وتعلم ابنتها لفن الموسيقى الذي يرى الأب أنّها تعارض مع ثقافته الشرقية؛ لكنه في مرحلة ضعف تقل سيطرته، ومن الممكن ان تبرز سلطة أخرى كانت تتسم بالضعف مسبقًا.

الذات الفاعلة يبدو أنَّها ليست على معرفة مسبقة برغبة الأم في تعلمها الموسيقى، ولم تبدِ عدم الرغبة لتعلمها بصراحة، فالذات ما زالت مقيّدة بقيود الأسرة/ الأم بعدما كانت السلطة للأب.

القدرة متحققة لدى الذات الفاعلة، فهي في عمر يسمح لها تعلّم الموسيقى ،ولكن هذه القدرة قائمة عن عدم معرفة مسبقة، فالموسيقى تمثل أنغام الحياة المختلفة: "نظرتُ في عينيكَ أدركتُ ما تجسدت فيه هوايتك الإجبارية قالت أمي: سيحضر الاستاذ لإعطائك دروسًا في الموسيقى ابتداءً من الأسبوع القادم" (بتول الخضيري، 2009: 58).تنتقل الذات الفاعلة مع أسرتها بسبب المرض/ مرض الأب ؛ليرضخ لرغبة زوجته.

الذات الفاعلة/ الراوية لم تختلف عمّا سبق بعدم معرفتها بقرار الانتقال إلى مكان آخر، فهي تشعر بالحنين للمكان السابق/ الريف بفعل الذكرياتن وتمر الذات الفاعلة بتحولات داخلية تقابلها تحولات اجتماعية وسياسية في المحيط الخارجي، وتبرز التوترات الداخلية والخارجية: الإرادة الفردية (الرغبة في التغيير، المعرفة، الحنين)، وبين الضرورات المفروضة (المرض، الموت، الفقد، الحرب).

تتطلع الذات إلى معرفة عن خبر الحرب العراقية – الإيرانية عن طريق الأب؛ لتتمظهر كل أفراد الأسرة بعجزها عن مواجهة قرار الحرب، فهم ليسوا بموضع الاختيار، بل هي خارجة عن الإرادة، فالذات الفاعلة تستقبل الخبر دون أي ردَّة فعل إلَّا أنَّ هذه المفردة تجعل الذات الفاعلة في تقدَّم في بناء الذات، فالحرب مقدَّمة من مقدمات فقدان الأمن، وظهور الخوف والقلق: "كانت تلك أوَّل مرة أشرب فيها القهوة ... أعطيتني حرية صغيرة في جو الغرفة لكي استمع". (بتول الخضيري، 2009: 64).

ترغب الذات الفاعلة في مواجهة الواقع/ الحرب، وموت والدها الذي يترك فراغًا في حياتِها، فليس الرغبة فقط، بل تقوم بالفعل، فتعيش قصة حب مع سليم في زمن الحرب، فهو مهّرب للذات الفاعلة من الدمار بفعل الحرب، وعلى الرغم من الموت المحيط بها، وتظهر الذات الفاعلة قدرة لهذه المواجهة؛ لكن هذه القدرة تنصدم بغياب الحبيب بسبب الحرب، أما المعرفة للذات الفاعلة تأتي بالتدريج؛ وذلك عن طريق ما يمليه عليها مجتمعها.

تحاول الذات الفاعلة خلق توازنا في حياتها مع واقعها الخارجي ، وقد صوّر العالم الخارجي والداخلي عن طريق رؤية الذات الفاعلة التي مَثَّلت الراوية للرواية، فهي التي قدَّمت العالم المصوّر برؤيتها، فأصبح العالم المصوّر تجربة إنسانية مرسومة على صفحة عقل، أو ذاكرة، أو وعيًا إنسانيًا مُدركًا؛ ومن ثمَّ تتحوَّل التجربة إلى خبرة مسجلَّة تعتمد على اللغة ومعطياتها، (ينظر: عبد الرحيم كردي، 1996: 18)، وقد تجسد ذلك في المقطع السردي الآتي: "من الحدود الشرقية تصلنا أخبار المعارك ...". (بتول الخضيري، 2009: 109-110).

تنتقل الذات الفاعلة إلى انكلترا مع أمها بعد وفاة الأب؛ لتتجلى الفوضى والتوتر في حياتِها، بسبب أخبار الحرب التي تصلها عن طريق الرسائل عن بلدها الأصل (العراق) ، ومرض أمها :" بين المستشفى وحي السحالي قضيت وقتاً عدمياً... وفي الأخرى أحد تقارير أمي الطبية ." بتول الخضيري، 2009: 109-156).تسعى الذات الفاعلة لتحقيق التوازن الداخلي مع واقعها الخارجي المتوتر.

فالرغبة موجودة لدى الفاعلة، والشعور بوجوب الفعل موجود بالقوة، فهي تواصل حياتها على الرغم من الخراب الذي يحيط بها المتمثل بالحرب والدمار في بلدها العراق (البلد الأصل)، ومرض أمها واستفحال السرطان؛فهي غير قادرة على تغيير الواقع سواء الحرب على بلدها العراق، أو مواجهة مرض أمها المستفحل.

البطلة على وعي بذلك؛ لذلك تسعى وترغب لتحقيق التوازن الداخلي، كي لا تنهار؛ فتسعى لتكوين علاقات اجتماعية مع محيطها، ثم تلجأ إلى خوض قصة حب، وإيجاد وظيفة لها في انكلترا للعمل كمترجمة: "زارني آرنو في المستشفى ... عذرًا لكن عندي أمّ بدأت تحتضر ربما في الطابق السادس". (م.ن: 197-198).

تبقى نهاية الرواية مفتوحة؛ لجعل القارئ يتوقع عودة التوترات الداخلية بفعل التوتر الخارجي؛ ومن ثمَّ خلق توازنات جديدة، فعملية التسنيين الخاصة بالمضامين الاجتماعية، والثقافية، واللسانية المرتبطة بالنشاط الإنساني، والتي تتجلى لغويًا لما هو غير لغوي. (ينظر: سعيد بنـگـراد، 2001: 45).

المبحث الثالث
المربع السيميائي

الجانب النظري:

الفرضية التي استند عليها غريماس في تقديم المربع السيميائي هي أنَّ الدلالات والأشياء لا تدرك إلَّا عن طريق التضاد والتناقض، وهو المستوى المنطقي الدلالي. (ينظر: محمد فليح الجبوري، 2013: 78)، ويحاول غريماس في هذا المستوى أن يستعيد كلَّ العناصر المدرجة داخل السلوك الإنساني بمواقع ترتبط فيما بينها بعلاقات التي تتمظهر بالمربع العلاماتي. (ينظر: سعيد بنـگراد، 2001: 48)، وهذه العلاقة لها ظاهر ولها باطن، وتنبثق عن هذه العلاقة صورًا كثيرًة محددة لمفهوم المصداقية تفي الدلالة كترجمة للسلوك الإنساني في علاقاته المختلفة.

وقد فصل غريماس هذه العلاقة بما هو آت:

"1- إذا كانت العلاقة الحالية في كِلا المستويين موسومة إيجابيًا (باطن+ ظاهر) استقامت في مرتبة الصدق.

2- إذا وسمت العلاقة الحالية سلبيًا في كِلا المستويين (لا باطن+ لا ظاهر) حكم عليها بالبطلان، من ذلك أنّ الباث المنظم لحقيقة النص.

3- إذا كانت العلاقة الحالية محددة سلبيًا في مستوى المتجلي وإيجابيًا في مستوى آني (لا ظاهر + باطن) استوت في منزلة السر.

4- في حال تحديد العلاقة الحالية إيجابيًا على صعيد المتجلي وسلبيًا على صعيد الآني (ظاهر+ لا باطن) تكون العلاقة بمنزلة الكذب ... والرسم البياني يلخص هذه الوجوه جميعًا": (محمد عبد الناصر العجيمي، 1993: 68-69).

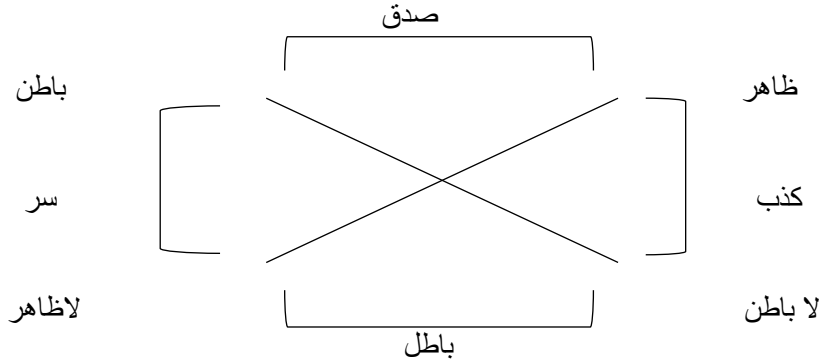

استند غريماس في مربعه على القواعد اللسانية التي تسعى لتحقيق الدلالة من داخل النص عن طريق العلاقات التي تدركها في المستوى العميق. (ينظر: رشيد مالك، مقدمة في السيميائية السردية2000: 16).

نلحظ أنّ الثنائيات الضدية التي تتمظهر بالمستوى العميق في المربع السيميائي، وهذا المستوى هو سابق في الوجود المستوى التصويري، إلَّا أنّ المشتغل على النص السردي يكتشف المستوى العميق عن طريق المحسوس المادي اللغوي؛ لذلك تمّ تأخير الاشتغال عليه في المبحث الثالث أي بعد المستوى السطحي.

البنية السطحية والعميقة قابلة للتغيير والتحوّل الدِلالي، وهو أساس ديمومة النص القصصي، ومرد ذلك تطور الأحداث في الإطار الزمني والمكاني. (ينظر: فيصل الأحمر، 2010: 230).يستند غريماس في اشتغاله للبنية العميقة في النص القصصي على تقطيع النص إلى وحدات دلالية أطلق عليها (المعانم)، (ينظر: محمد عبد الناصر العجيمي، 1993: 88)، والمعنم هو: "الوحدة الصغرى للمعنى: المتناقضات والمتضادات" (ينظر: شلومت ريمون كنعان، 1995: 25)، وجوهر التفكير الإنساني، بل النظام في الطبيعة مسألة الأضداد الثنائية، التي ترتبط فيها أيضًا فكرة السلب أو النفي أو النقيض، وهي من الاستراتيجيات المهمة في الدراسات السيميائية والبنيوية (ينظر: السيد ابراهيم، 1998: 26-27).

تخلق الثنائيات الضدية توازنًا في الحياة، وتعد أساس الصراعات في السلوك البشري، ويعبّر عن ذلك عبر الخطاب السردي، الذي يرتكز على تجليات مادية مختلفة ومتغايرة إلَّا أنّها تشترك في الجوهر الدِلالي.

تبنى العلاقة بين المعانم وفقًا لذكر أحد المعانم ليستحضر ذهنيًا المعنم الآخر الذي يقابله بالضد أو النفي أو النقض، وهذا الاستحضار يتم بصورة تلقائية في الذهن البشري.

لا يعني أنّ الذوات عندما تتصارع؛ لتتجلى ثنائيات ضدية أنّها قادرة على مواجهة هذه الثنائيات، فمثلا أنّ الذات تصارع الموت من أجل الحياة إلَّا أنّها ليس بالضرورة تحصل على ما تريد، لكن من الممكن أن تتجلى صور أخرى للموت؛ كالغربة، والفقدان، وغير ذلك، وكذلك الحياة من الممكن ان تتجلى بصورة كثيرة مثل: الأمل، الحب، الفرح وغير ذلك.

في هذا المستوى لا نحتاج إلى التتابع في المسار السردي للوقوف عليه، على العكس من المستوى السطحي، الذي يستلزم الوقوف عليه عبر التتابع الخطي للمسار السردي.

الجانب التطبيقي:

تتجلى أوّل ثنائية في الرواية من صراع الثقافة الشرقية مع الثقافة الغربية في بناء المجتمعات، ومنها (العراق) عن طريق علاقة الأفراد بهذه الثقافات المتحكمة ببناء المجتمعات.

يطالعنا الصراع بين هاتين الثقافتين عن طريق الذات الفاعلة، التي تسعى لتحقيق علاقة الاتصال مع الثقافة الشرقية بسعي من الأب (أب الطفلة)، ومدى سعيه بغرس قيم مجتمعه الشرقي؛ ومن ثمَّ يتحقق تاريخ المجتمعات ليس بالوسائل المتاحة، بل بالقيم والأهداف وهي أساس بناء المجتمعات. (انظر: لوسيان غولدمان، 1996: 52).

ويتَّضح هذا الصراع في المربع السيميائي الآتي:

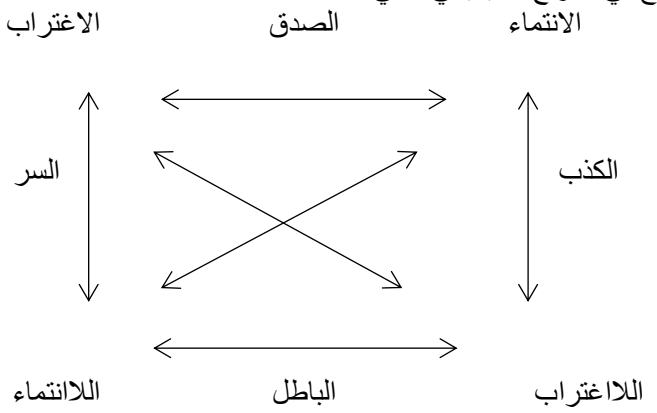

يتجلى الصراع بين الانتماء والاغتراب، فالانتماء يظهر عبر علاقة الذات بالمحيط الاجتماعي الذي يحققه المكان الخارجي من البيت، وعلاقتها بالطفلة خدوجة، أما البيت الذي يظهر بصورة التشتت، والانقسام بين الأب/ الشرق، والأم/ الغرب؛ وهذا يشكل اغترابًا للذات الفاعلة/ الطفلة، التي لا تستطيع أن تتخطاه في حياتها، جاء على لسان الأب: "ألا ترين يا امرأة أننا في الشرق ... قد يضر بمستقبلها". (بتول الخضيري، 2009: 13).

أما علاقة الانتماء تتجه نحو اللاانتماء بفعل السياسة الصارمة التي تستخدمها الأم اتجاه طفلتها؛ لتحقق الانتماء غير الحقيقي، فتظهر علاقة اللاانتماء، فالذات الفاعلة تتصارع داخليًا مع ذاتها، ولا تحقق التوازن مع الخارج الذي يعكس عدم التوازن الداخلي لها، ويتجلى ذلك في مواقف عدّة للذات الفاعلة عن طريق استخدام اللغة المشتركة بين العربية/ الشرق، والانكليزية/ الغرب، جاء في ذلك على لسان الذات الفاعلة/ الراوية: "كم تتمكن أنت من منع أمي ... في حد ذاته عالمين". (م.ن، 2009: 13).

وفي مقطع آخر: "تعلمت أنا بدوري ... ألا امزج بين لغتين في كلامي ... ذلك أقل ما يمكن أن نقدمه لها". (م.ن، 2009: 21).

تتجلى أيضًا علاقة الانتماء نحو لا اغتراب، وهي علاقة صراع غير حقيقي تحاول فيه الذات الفاعلة أن تجمع بين الثقافتين الشرقية والغربية؛ لتخلق توازنًا إلَّا أنّ ذلك يخلق عدم اتزان خارجي: "إنّها فكرة بلهاء قضية الانتماء فنحن لا ننتمي إلَّا لظل أجسادنا التي ترافقنا ما دمنا احياء". (م.ن: 167).

يكشف المحور الأول للذات الفاعلة عبر المربع الدلالي عن تشظي وصراع الهوية، وسنلحظ هذا التشظي فمن الممكن أن نتوقع ما سيكون عن طريق ما هو كائن.

فالهوية هي الجوهر التي تتقوّم به كل الذوات، وهذه الهوية هي انتماء عالم الأشياء وما يعتريها من تغيرات وتحولات التي ليست بالضرورة ماسخة لذاتيتها (ينظر: حاتم الورفلي، 2009: 9).

تأتي ثنائية أخرى، وهي ثنائية الحياة والموت، والمخطط الآتي يوضح هذه الثنائية عبر المربع العلاماتي:

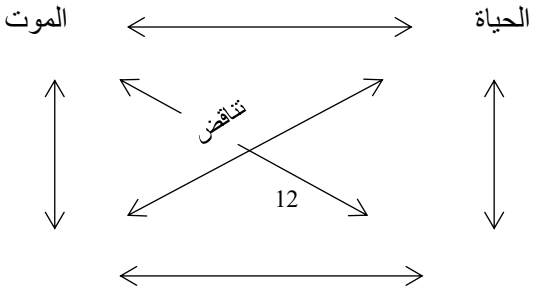

تناقض

لا موت لا حياة

تخلق هذه الثنائيات صراعًا داخليًا وخارجيًا لبطلة الرواية/ الذات الفاعلة فعلاقة الحياة والموت هي علاقة بين ما تتعلمه الذات الفاعلة إزاء ما تتعرض له من ظروف من مرض الأب المساند لها، وموت صديقتها خدوجة التي تعد امتدادًا مهمًا للثقافة الشرقية بالنسبة للراوية/ الذات الفاعلة، وخبر الحرب الذي يهدد استقرار الذات، وشعورها بعدم الأمان، كل ذلك يعد مقدمة لما سيكون ،فكلّ العناصر الساندة للذات الفاعلة تضمحل أو تضعف، ومن الممكن أن يؤدي ذلك إلى ضعف في الهوية الشرقية: "أمي لا تفهم اصراري على نومة السطح ... يقربني إلى خدوجة" (بتول الخضيري، 2009: 70)؛ ومن ثمّ فإنّ التحولات الداخلية والخارجية تؤثر بشكل مباشر على تشكيل الهوية للذات، ويأتي ذلك بالتدريج.فالنظر إلى الكون لا يكون إلَّا عن طريق مجموعة من الممارسات الداخلة للذوات الإنسانية في أي مجتمع. (ينظر: سعيد بنـگراد، 2001: 45).

علاقة الحياة/ اللاموت هي علاقة تتصف بالضبابية فالذات تستسلم للقدر الذي تعجز أن تغيره كالفقد، والحرب، الغربة.أما علاقة الحياة/ اللاحياة فتتمظهر عن طريق ما تمر به الذات الفاعلة من فقد وحرب يجعلها تقاوم في ظل هذه الأزمات، فهي تسعى إلى الحياة بتعلمها الموسيقى، ومهنة والدها، وإن كان ذلك بمؤثر خارجي، لكنها لم تظهر رد فعل بعدم الرغبة في ذلك: "لعبة الألوان تحدي المطيبات ... وأنا لا استطيع أن أقرر من هو الضحية". (بتول الخضيري، 2009: 79).

كل ما تقدم يعكس ملامح تشكيل الهوية بين الظهور /الحياة، والضعف/ الموت، وهو صراع وجودي.

تطالعنا ثنائية أخرى لتحقيق التوازن في حياة الذات الفاعلة، وهي ثنائية السلام والحرب، والمخطط السيميائي يوضَّح ذلك:

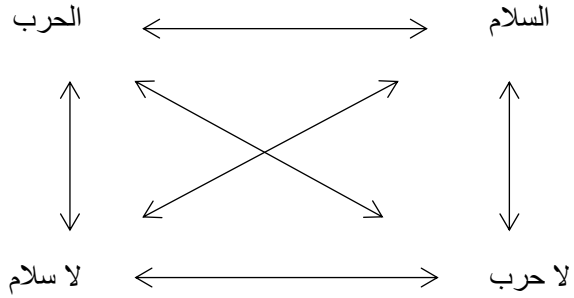

يظهر السلام بصورة الحب الذي تعيشه الذات الفاعلة مع حبيبها (سليم) لتحقيق التوازن مع الواقع الخارجي/ الحرب، الذي يهدد الأمن والاستقرار، فالذات تسعى إلى ديمومة الحياة لمواجهة الموت: "إنّ كنت تعيشين حالة حب حقيقية أم أزمة عاطفة مضغوطة بحالة حرب في صورة حب". (م.ن، 2009: 140).

الحب للذات الفاعلة يظهر بصورة هشّة، وشعورها بالقلق إزاء هذا الحب الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحرب واستمرارها يتَّضح ذلك من مناقشتها للموضوع مع أمها: "هل تفكران في الزواج، اي زواج ونحن لم نكن نلتقي! حتى لو انتهت الحرب لا أعلم كونه من دين آخر ... أقرأ في عينيك الرغبة في الاستقرار لذا عليك أن تتأكدي من مشاعره هو تجاهك فالكرة الأولى تكون في مساحة الرجل عادة". (م.ن: 139).

فالحب موجود لكن الثقة متزعزعة، ويتأكد ذلك في آخر رسالة من سليم لها تخبرها بالتخلي عنها ويحثها على السفر لإنكلترا مع أمها: "حلقي يا صغيرتي، فهذا هو وقتكِ أما أنا فسأبقى سأمكث في مكانٍ تعلمت فيه كل فنون قتل الوقت ... لعلكِ تجدين تسوية عادلة مع النفس". (م.ن: 151).

تتجلى علاقة الحرب، لا حرب للذات الفاعلة عن طريق لحظات هادئة داخلية لحظة صمت، لقاء سري مع الحبيب وتأمل في وجهه،هذه اللحظات ليست انتصارًا على الحرب، بل نوع من التنفس القصير قبل أن تعود للفوضى.نفي الحرب ليس السلام، هو مساحة هشّة مؤقتة تشبه حلمًا داخل كابوس، فالصراع الخارجي يوازيه صراعًا داخليًا للذات الفاعلة لتقاوم وجودها.

علاقة السلام/ لا حرب تتجلى الوظيفة الإيجابية للحب، وهو الأداة الوحيدة لإيقاف ضجيج الحرب ولو مؤقتًا. تحاول الذات الفاعلة أن تخلق في حبِّها عالمًا وهميًا ربما لكنه ضروري للنجاة النفس المتعبة.

الحُب هنا ليس رديفًا للسلام فقط، بل هو محاولة في أكثر أشكاله إنسانية، فهو يمثل الأمل الذي يستحق أن تصارع الذات لأجله.نلحظ أنّ الذات الفاعلة هي كالمجتمعات في بناءها، فكل الصراعات في المجتمعات من أجل صنع هويتها.

إنّ الذات الفاعلة/ الراوية وهي المسيطرة على السرد القصصي للرواية لم يكن لها اسم، فالاسم جزء من الهوية، كما أنّ كلَّ ما يحيط بالذات هي تجليات لهذه الهوية.فالتشظي في الهوية تجلى في التشظي في كل ما له علاقة بالذات الفاعلة/ الراوية: عدم تسميتها باسم، الفقد، الأب، الأم، الحرب، الحب، العمل ... وغير ذلك.

الخاتمة

نستخلص لكل ما تمّ تقديمه في هذا البحث مجموعة من النتائج:

1- قام التحليل لعوامل النموذج العاملي بتقسيم الرواية للمقاطع سردية تجلى الفاعل المحوري لكل المقاطع الذات الفاعلة/ الطفلة بمراحلها العمرية المختلفة من عمر ست سنوات لعمر الثلاثين عامًا.

2- كشف تحليل عوامل النموذج العاملي عن صراع الذات الفاعلة مع موضوعها المحوري تشظي الهوية بين الشرق المتمثل بالأب، والغرب المتمثل بالأم، وهو صراع لازم الذات الفاعلة من طفولتها إلى كبرها؛ ليشكِّل الموضوع المحوري.

3- مكيفات الفعل لرواية كم بدت السماء قريبة، تتطور بتطور ونضج الذات الفاعلة عبر المسار السردي، فتتغيَّر بمقتضى ذلك مكيفات الفعل للذات الفاعلة بتغيّر المقاطع السردية عبر الرواية.

4- اعتمدت الذات الفاعلة في بداية حياتها على الغير في تشكيل الملامح الأولى لهويتها المحدودية القدرة والمعرفة؛ لأنَّها طفلة فكان الأب والمحيط الاجتماعي، والمكان/ العراق عوامل سردية حققت اتصال الذات الفاعلة مع هويتها الشرقية.

5- صراع الذات الفاعلة داخليًا تجلى خارجيًا في السلوك، وكشف عمّا تتمتع الذات الفاعلة من مكيفات فعل وفقًا للمستوى السطحي.

6- يكشف لنا المربع السيميائي عن تشظي وصراع الهوية للذات الفاعلة في الرواية، ويلحظ التشظي في سلوك الذات الفاعلة عبر المسار السردي في الرواية كلها.

7- تتجلى في الرواية وفقا للمستوى العميق المتمثل بالمربع السيميائي ثنائيات ضدية مثل: الانتماء والاغتراب، الحياة والموت، السلام والحرب، وتشكّل هذه الثنائيات مفاصل أساسية في تشكيل الهويات.

فهرس المراجع:

- ✓ أ.ج.غريماس ،سـيميائيات السـرد ، ترجمة وتقديم: عبد المجيد نوسـي ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 2018م.
- ✓ أكرم اليوسف ، الفضاء المسرحي دراسة سيميائية، دار مشرق ، دمشق ، سوريا، ط1، 1994م.
- ✓ بتول الخضيري ، كم بدت السماء قريبة (رواية) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ، ط5 ، 2009م.
- ✓ بيار غيرو، السيمياء ، تر: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1984م.
- ✓ ترنس هوكز ،البنيوية وعلم الإشارة، ت: مجيد الماشطة، مراجعة: ناصر حلاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1986.
- ✓ تيري إيغلتن ،مقدمة في النظرية الأدبية، ت: إبراهيم جاسـم العلي، مراجعة: د.عاصـم إسـماعيل إلياس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1992.
- ✓ جيرمي هوثورن ،مدخل لدراسـة الرواية ، تر:درويش عطية، مراجعة: د.سـلمان داود الواسـطي ،،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، ط1، 1996م.
- ✓ حليمه وازيدي ، سـيميائيات السـرد الروائي من السـرد الى الأهواء، دار القرويين ، الدار البيضـاء، المغرب ، ط1، 2017م.
- ✓ حاتم الورفلي ، بول ريكور الهوية والسرد ، دار التنوير ، تونس، د.ط، 2009م.
- ✓ رشيد بن مالك :
  _قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة ، فيفري ، د.ط ، 2000م.
  _ مقدمة في السيميائية السردية ، دار القصبة ،حيدره، الجزائر، د.ط، 2000م.
- ✓ سـعيد بنكَراد ، السـيميائيات السـردية ، منشـورات مطبعة النجاح ، الدار البيضـاء ، المغرب ،د. ط، 2001م.

- ✓ السـيد إبراهيم ، نظرية الرواية (دراسـة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصـة)،دار قباء ، القاهرة ، مصر، د.ط، 1998م.
- ✓ شلوميت ريمون كنعان ، التخييل القصصي (الشعرية المعاصرة) ، تر: لحسن أحمامة ، دار الثقافة ، د.م، ط1، 1995م.
- ✓ عبد الرحيم كردي ، الراوي والنص القصصي ،دار النشر للجامعات، القاهرة ، مصر، ط2، 1996م.
- ✓ عبد الله إبراهيم ، المتخيل السردي (مقاربات نقدية في السرد والرؤى والدلالة)، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1990م.
- ✓ عبدالله محمد الغذامي ، الخطيئة والتكفير- من البنيوية إلى التشـــريحية ، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1985.
- ✓ عبد المجيد نوســي ، التحليل السـيميائي للخطاب الروائي البنيات الخطابية _التركيب _الدلالة ،المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 2002م.
- ✓ فريد الزاهي ، النص والجسد والتأويل ،أفريقيا الشرق ، المغرب ، د.ط، 2003م.
- ✓ فلاديمير بروب ، مورفولوجيا القصـة ، تر: د. عبد الكريم حسـن و د. سـميرة بر عمّو، شـراع للدراسـات والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط1، 1996م.
- ✓ فليب هامون ، سـيميولوجية الشـخصـيات الروائية ، تر:سـعيد بنكَراد ، دار الحوار ، اللاذقية ، سـوريا ، ط1، 2013م.
- ✓ فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1 ، 2010م.
- ✓ لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، دار النهار ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2002م.
- ✓ لوسيان غولدمان ،العلوم الإنسانية والفلسفة ، ت: د.يوسف الأنطكي، مراجعة: د.محمد برادة، المجلس الأعلى للثقافة، د.م، ط1، 1996.
- ✓ لوســيان غولدمان ويون باســكاوي وجاك لينهارت وجاك دوبوا وجان دوفينو ور.هيندلس ،البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، راجع الترجمة: محمد سـبيلا، مؤسـسـة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1984.
- ✓ مسـلم شـجاع العاني ، البناء الفني في الرواية العربية في العراق ،دار الشـؤون الثقافية، بغداد، العراق ،د.ط، 2000م.
- ✓ محمد سـويرتي ، النقد البنيوي والنص الروائي نماذج تحليلية من النقد العربي _المنهج البنيوي _البنية _الشخصية، ط2، 1994م.
- ✓ محمد عزّام ، فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)،دار الحوار، اللاذقية ، سوريا ، ط1، 1996م.
- ✓ محمد فليح الجبوري ، الاتجاه السـيميائي في نقد السـرد العربي الحديث ، دار الأمان، الرباط ، الجزائر ، ط1، 2013م.
- ✓ محمد الناصر العجيمي ، في الخطاب السردي(نظرية فريماس (GREIMAS) الدار العربية للكتاب ، د.م، د.ط، 1993م.
- ✓ يمنى العيد د. حكمت صباغ الخطيب:
  - تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت ، لبنان، ط1، 1999م.
  - في معرفة النص- دراسات في النقد الأدبي ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1985.

المستخلص باللغة الإنكليزية

Many modern critical approaches have benefited from Saussure's linguistic theories. As a result of these theories, critical studies in general and narrative approaches in particular have developed. Among these theories is what Lévi-Strauss and Propp presented in their study of the narrative character, and how the concept of character has developed significantly. Character departed from its old concept, which focused on the human character, to develop to explore the idea of the agent as a factor in grammar; to establish a narrative grammar, as Greimas calls it - who was influenced by the studies of Lévi-Strauss and Propp - what is important in character, regardless of its type, human or non-human, rational or irrational, sensual or moral,

is the function it performs. Greimas presented his model, which he called (the factor model), as a model that can be applied to narrative texts only, as a functional model, some of which is based on tracing the narrative path, and some of which is not based on that, as we will demonstrate through the research.